إتحاف الأريب

مبحث في معنى اسم الله

القريب

لفضيلة الشيخ: فوزي السعيد

حفظه الله

اسم الله القريب

❋المعنى اللغوي:-

* قال ابن القيم في نونيته: [نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: 208)]

- وهو القريب وقربه المختص بالداعي وعابده على الإيمان.

فقربه تعالى ليس عاماً من كل شيء ومن كل أحد، بل خاص بأهل الإيمان الداعين والعابدين والساجدين، أما قربه من كل أحد فبتوسط الملائكة..

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:- [مجموع الفتاوى (5/ 493)]

وليس فى القرآن وصف الرب تعالى بالقرب من كل شىء أصلا بل قربه الذى فى القرآن خاص لا عام كقوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون} [البقرة: 186]..فهو قريب ممن دعاه، كذلك ما فى الصحيحين عن أبي موسى الاشعري أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال: "يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون

أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته"..
فقال إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم لم يقل أنه قريب إلى كل موجود، وكذلك قول صالح: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} [هود: 61].. هو كقول شعيب: {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود: 90]، ومعلوم أن قوله: {قَرِيبٌ مُجِيبٌ} مقرون بالتوبة والاستغفار، أراد به قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه كما أنه رحيم ودود بهم..وقد قرن القريب بالمجيب، ومعلوم أنه لا يقال إنه مجيب لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه، فكذلك قربه سبحانه وتعالى..أ.هـ...أما قوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: 16]، وقوله: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة: 85] فالمراد به: قربه إليه بالملائكة، وهذا هو المعروف عند المفسرين المتقدمين من السلف، قالوا: ملك الموت أدنى إليه من أهله ولكن لا تبصرون الملائكة...

وقد قال طائفة: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ} بالعلم، وقال بعضهم بالعلم والقدرة، ولفظ بعضهم: بالقدرة والرؤية، وهذه الأقوال ضعيفة، فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا أن يقولوا بالعلم والقدرة والرؤية، ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء، تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء، قادر على كل شيء، وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية (حيث ثبت عن السلف أنهم قالوا: معهم بعلمه - وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان). [493 – 494 / 5.. مجموع الفتاوى].

* وقال رحمه الله:- وقوله: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} مثل قوله: وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ [يس: 12] لما كانت ملائكته متقربين إلى العبد بأمره، كما كانوا يكتبون عمله بأمره قال ذلك...

وقربه من كل أحد بتوسط الملائكة كتكليمه كل أحد بتوسط الرسل كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: 51] فهذا تكليمه لجميع عباده بواسطة الرسل، وذاك قربه إليهم عند

الاحتضار، وعند الأقوال الباطنة في النفس، والظاهرة على اللسان، وقال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: 10 - 12]. [512 – 513 / 5 : مجموع الفتاوى]...

* قلت: وسيعلم القارئ لهذا البحث أن قربه تعالى إنما هو جزاء بالإحسان (من الله تعالى) على إحسان العبد، قال تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } [الرحمن: 60]، فلا يكون قريباً من مشرك وهو نجس، بل على المؤمنين ألا يأذنوا لمشرك أن يقرب المسجد الحرام.. قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [التوبة: 28].

*وروده بالكتاب:

1- قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } [البقرة: 186].

وهذا قرب خاص بالداعي الذي يدعو ربه تضرعاً وخفية وخوفاً وطمعاً، (كما يأتي تفصيله في باب الدعاء باسمه القريب)...

والدعاء هنا دعاء المسألة المتضمن دعاء العبادة، وكذلك دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة، فهو سبحانه يعطي السائل ويثيب العابد، ثم أمرهم بأمرين فقال: {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186]..

فالأول: أن يطيعوه فيما أمرهم به من العبادة والاستعانة.

والثاني: الإيمان بربوبيته وألوهيته وأنه ربهم وإلههم، ولهذا قيل: إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد وعن كمال الطاعة؛ لأنه عقب آية الدعاء بقوله: {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي} [البقرة: 186] والطاعة والعبادة هي مصلحة العبد التي فيها سعادته ونجاته، وأما إجابة دعائه وإعطاء سؤاله فقد يكون منفعة وقد يكون مضرة.. فليستجيبوا لي إذا دعوتهم بالأمر والنهي، وليؤمنوا بي أن أجيب دعاءهم لي بالمسألة والتضرع...

وكما قال بعضهم: فليستجيبوا لي إذا دعوتهم، وليؤمنوا بي أني أجيب دعوتهم، قالوا: وبهذين السببين تحصل إجابة الدعوة: بكمال الطاعة لألوهيته وبصحة الإيمان بربوبيته... فمن دعاه موقناً أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجابه، وقد يكون مشركاً و فاسقاً {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ} [يونس: 12].. {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}:

أي يصلوا إلى مقصودهم أي سعادتهم ونجاتهم وفوزهم بأقرب الطرق أي بسلوك الصراط المستقيم... هذا مختصر من بعض أقوال شيخ الإسلام في تفسير الآية.. [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (2/ 314)]..

2 - قال تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} [هود: 61]...صالح يدعو قومه إلى ترك الكفر والشرك إلى التوحيد والاستغفار والتوبة، وهذه نقلة هائلة تدخلكم مع المحسنين، فتفوزوا بإحسان من الله بقربه وإجابته، فتكون السعادة والنجاة، وأيضاً هو سبحانه قريب من رسوله صالح عليه السلام ويستجيب له، فهذا تهديد لهم لو اضطروه إلى الدعاء عليهم بالانتقام، فقريب مجيب ترغيب وترهيب...

3 - قال تعالى: {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} [سبأ: 50].. قول ثقيل - كتاب مهيمن على جميع الكتب - رسالة جامعة خاتمة أنزلت على قلب أول العابدين ليكون الأسوة الحسنة لمليارات البشر إلى يوم الدين في كل سكنة وفي كل همسة وفي كل حركة، في كل صمت وفي كل نطق وفي كل موقف وفي كل موطن وفي كل حال.. وأدنى أدنى مثقال ذرة من خطأ محسوب عليه إذ يأتي به الناس على مدى الأجيال إلى يوم الحساب.. حجة الله على الناس كافة _ أثقل مهمة ألقيت على كاهل بشر – منذ البداية أقرّه ربهُ {فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل: 9] – أي على مدى الأنفاس يكون متوكلاً على الوكيل ربِّ كل شيء – ضارعاً مستسلماً مظهراً عجزه متبرئاً من حوله وقوته بل إلى حول الله وقوته، فلا تراه طُولِبَ بشيء في الدين إلا طلبه من ربه سائلاً له مستعيناً به متوكلاً عليه باذلاً أقصى استطاعته ونجح في ذلك مهتدياً بالوحي (لا بمجرد العقل الذي كان موجوداً قبل الوحي) سالكاً الصراط المستقيم مفتقراً بالضرورة إلى السميع القريب سبحانه..حتى بلّغ الرسالة وأدى الأمانة حتى بلغ ما بلغ من الكوثر ومن المقام المحمود والوسيلة والفضيلة، فكان أولى من دعا الله باسمه القريب عبادةً واستعانة، إلهية وربوبية، فكان أول الفائزين بقرب الله في دنياه وأخراه..

* فكان الاسمان العظيمان "السميع والقريب" هما أنسب الأسماء في ختام تلك الآية.

4 – ورد بطريق التنبيه في آيتي سورة الأعراف (بحسب ابن القيم رحمه الله):[بدائع الفوائد (3/ 513)] ..

 {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: 55، 56]..وتفصيلها في باب الدعاء باسمه القريب.

✵ورود اسم القريب في السُّنَّة:

1 – في مسند الإمام أحمد: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال فدنا منّا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أيها الناس ارْبَعُوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعون اقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله}[أخرجاه في الصحيحين]..

* قال ابن تيمية: [509 / 5:مجموع الفتاوى]..

"وذلك لأن الله سبحانه قريب من قلب الداعي فهو أقرب إليه من عنق راحلته، وقربه من قلب الداعي له معنى متفق عليه بين أهل الإثبات الذين يقولون إن الله فوق العرش ومعنى آخر فيه نزاع"..

* فالمعنى المتفق عليه عندهم: يكون بتقريب قلب الداعي إليه كما يقرب إليه قرب الساجد كما ثبت في الصحيح {أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد} فالساجد يقرب الرب إليه فيدنو قلبه من ربه وإن كان بدنه على الأرض، ومتى قرب الشئ من الآخر صار الآخر إليه قريباً بالضرورة، وإن قدر أنه لم يصدر من الآخر تحرك بذاته كما أن من قرب من مكة قربت مكة منه، وقد وُصِفَ الله أنه يُقَرّب إليه من يقربه من الملائكة والبشر فقال: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء: 172]، وقال: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} [الواقعة: 10، 11]، وقال: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ} [الواقعة: 88]، وقال: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} [المطففين: 28]، وقال: {... أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}

[الإسراء: 57] [الإسراء: 57]، وقال: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم: 52]..

* وأما قرب الرب قرباً يقوم بفعله القائم بنفسه فهذا تنفيه الكلابية ومن يمنع قيام الأفعال الاختيارية بذاته، وأما السلف وأئمة الحديث والسنة فلا يمنعون ذلك، وكذلك كثير من أهل الكلام.

فنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا، ونزوله عشية عرفة ونحو ذلك هو من هذا الباب، وكذلك تكليمه لموسى عليه السلام...

2 – وقال: {ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً} [رواه مسلم في الصحيح].. (وزاد في الحديث : {ومن أتاني يمشي أتيته هرولة}..

* وهذه الزيادة تكون على الوجه المتفق عليه زيادة تقريبه للعبد إليه جزاءً على تَقَرُّبه باختياره، فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر زاده الرب قرباً إليه حتى يكون كالمتقرب بذراع، فكذلك قرب الرب من قلب العابد وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب والإيمان به وهو المثل الأعلى وهذا أيضاً لا نزاع فيه، وذلك أن العبد يصير مُحِبَّاً لما أحب الرب، مبغضاً لما أبغض، موالياً لمن يوالي، معادياً لمن يعادي، فيتحد مراده مع المراد المأمور به الذي يحبه ويرضاه. [مجموع الفتاوى (5/ 510)].

وهذا مما يدخل في موالاة العبد لربه وموالاة الرب لعبده، فإن الولاية ضد العداوة، والولاية تتضمن المحبة والموافقة، والعداوة تتضمن البغض والمخالفة...

وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يقول الله تعالى: {من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضه عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مَسَاءَته، ولا بد له منه".. فأخبر سبحانه وتعالى أنه يقرب العبد بالفرائض، ولا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه الله فيصير العبد محبوباً لله كما قال تعالى: {... فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ} [آل عمران: 31]، وقال: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه} [المائدة: 54]، {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [البقرة: 195]، {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: 4]، {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222]، {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: 108]، {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: 146]..[511 / 5: مجموع الفتاوى].

❋من معاني القرب:

1 – قرب يقوم بفعله القائم بنفسه سبحانه (هو فوق عرشه يقرب ويدنو حيث يشاء، وذاته لا تخلو من فوق العرش)..

وهذا القرب من أفعال الله الاختيارية كالاستواء على العرش، ونزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الآخر من الليل، ودنوّه من الحجيج عشية عرفة، ومجيئه وإتيانه يوم القيامة، ونزوله لتكليم موسي عليه السلام قائلاً له: {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ} [طه: 12]، {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ} [طه: 14]، {إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [النمل: 9]، {أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا} [النمل: 8] وهو سبحانه لا يزال العلي الأعلى، الكبير الأكبر، أكبر من كل شيء، فلا يكون العرش أعلى منه ولا أكبر منه...

والجمع بين علوه وقربه ودنوه ونزوله سهل باعتبار شأن الروح في عملها وأحكامها وهي مخلوقة فكيف بالخالق سبحانه00 إن روح الإنسان لا تزال في بدنه لا تخرج إلا بالموت ومع ذلك في النوم قد تعرج إلى السماوات، وقد تبلغ العرش، وقد يؤذن لها في السجود (ما لم يكن جنباً) ثم تعود إلى البدن وذلك ثابت بالكتاب والسنة، بل وفي حال اليقظة تعرج روح الداعي والساجد فتقرب من الله، فيَسيرٌ على الله الخالق أن يكون فوق عرشه ويقرب من عبده حيث يشاء.

2 – قربٌ يلزم من تقريب العبد إليه ومتى قرب أحد الشيئين من الآخر صار الآخر إليه قريباً بالضرورة.

* يقول ابن تيمية: فالمعنى المتفق عليه عندهم يكون بتقريبه قلب الداعي إليه، كما يقرب إليه قلب الساجد كما ثبت في الصحيح {أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد} فالساجد يقرب الرب إليه فيدنو قلبه من ربه، وإن كان بدنه على الأرض، ومتى قرب أحد الشيئين من الآخر صار الآخر إليه قريباً بالضرورة، وإن قدر أنه لم يصدر من الآخر تحرك بذاته، كما أن من

قرب من مكة قربت مكة منه، وقد وُصف الله أنه يقرب إليه من يقربه من الملائكة والبشر فقال: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء: 172]، وقال: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} [الواقعة: 10، 11]، وقال: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ} [الواقعة: 88]، {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} [المطففين: 28]، {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَب} [الإسراء: 57]، وقال: {... وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا } [مريم: 52]. [509 / 5: مجموع الفتاوى].

* ويقول: وأما قرب الرب من قلوب المؤمنين وقرب قلوبهم منه فهذا أمر

معروف لا يجهل، فإن القلوب تصعد إليه على قدر ما فيها من الإيمان والمعرفة والذكر والخشية والتوكل. [249 / 5: مجموع الفتاوى]..

* ويقول: فالداعي والساجد يوجه روحه إلى الله، والروح لها عروج يناسبها فتقرب من الله تعالى بلا ريب بحسب تخلصها من الشوائب، فيكون الله عز وجل منها قريباً قرباً يلزم من قربها، ويكون منه قرب آخر كقربه عشية عرفة، وفي جوف الليل، وإلى من تقرب منه شبراً تقرب منه ذراعاً0000 والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجه والتقرب والرقة ما لا يوجد في غير ذلك الوقت، وهذا مناسب لنزوله إلى السماء الدنيا وقوله هل من داع؟ هل من سائل؟ هل من تائب؟ [241 / 5: مجموع الفتاوى]..

3 – قرب العلم، وسماه السعديّ رحمه الله بالقرب العام..

* فقال: قرب عام من كل أحد بعلمه وخبرته ومراقبته ومشاهدته وإحاطته .

وقرب خاص من عابديه وسائليه ومحبيه. أ.ه...[التفسير: 304 / 5]..

* قلت: القرب بالعلم يذكر في أسمائه (العليم – الخبير – الحكيم – علام

الغيوب – عالم الغيب والشهادة)، أما في اسمه القريب فالمعنيان السابقان، ولا يحتاج إلى هذا الثالث.

* قال ابن تيمية: وطائفة من أهل السنة تفسر القرب في الآية: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: 16]، والحديث: {أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته} بالعلم والقدرة لكونه هو المقصود، فإنه إذا كان يعلم ويسمع دعاء الداعي حصل مقصوده، وهذا هو الذي اقتضى أن يقول من يقول: إنه قريب من كل شيء بمعنى العلم والقدرة، فهذا قد قاله بعض السلف كما

تقدم عن مقاتل بن حيان وكثير من الخلف، لكن لم يقل أحد منهم إن نفس ذاته قريبة من كل شيء. [500 / 5: مجموع الفتاوى]..

وقال: وثبوت علمه وقدرته واستيلائه على كل شيء هو مما اتفق عليه المسلمون، وتفسير قربه بهذا (بالعلم والقدرة) قاله جماعة من العلماء لظنهم أن القرب في الآية هو قربه وحده، ففسروها بالعلم لما رأوا ذلك عاماً قالوا هو قرب بمعنى العلم، وهذا لا يُحتاج إليه كما تقدم00 وقوله: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ

حَبْلِ الْوَرِيدِ} لا يجوز أن يراد به مجرد العلم، فإن من كان بالشيء أعلم من

غيره لا يقال: إنه أقرب إليه من غيره لمجرد علمه به، ولا لمجرد قدرته عليه. [503 / 5: مجموع الفتاوى]..

****** ******

{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}، {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ}

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى ...} [ق: 16، 17].

{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُون} [الواقعة: 83 - 85]

* التعليق:

1 – قال ابن تيمية: ومما يدل على ذلك (على أنه قرب بالملائكة) أنه ذكره بصيغة الجمع في الموضعين فقال: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ} وهذا كقوله سبحانه: {نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى ...} [القصص: 3] ، {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف: 3]، {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه} [القيامة: 17 - 19]، فإن مثل هذه اللغة إذا ذكره الله تعالى في كتابه دل على أن المراد أنه سبحانه يفعل ذلك بجنوده من الملائكة، فإن صيغة نحن يقولها المتبوع المطاع العظيم الذي له جنود يتبعون أمره، وليس لأحد جنود يطيعونه كطاعة الملائكة ربهم وهو خالقهم، فهو سبحانه العالم بما توسوس به نفسه وملائكته تعلم، فكان لفظ نحن هنا هو المناسب00 وكذلك قوله تعالى: {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ } [ق: 16] فإنه يعلم ذلك وملائكته أيضاً يعلمون ذلك كما ثبت في الصحيحين {إذا هم العبد

بحسنة كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر حسنات، وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، وإن تركها لله كتبت له حسنة} فالملَك يعلم ما يهم به العبد من حسنة وسيئة، وليس ذلك من علمهم بالغيب الذي اختص الله به ... بل ما في قلب ابن آدم يعلمونه، بل ويبصرونه ويسمعون وسوسة نفسه، بل الشيطان يلتقم قلبه فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل قلبه عن ذكره وسوس، ويعلم هل ذكر الله أم غفل عن ذكره، ويعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغي فيزينها له،وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكر صفية رضي الله عنها أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم..

وأما أن تكون ذات الرب في قلب كل أحد كافر أو مؤمن فهذا باطل لم يقل به أحد من سلف الأمة، ولا نطق به كتاب ولا سنة، بل الكتاب والسنة وإجماع السلف مع العقل يناقض ذلك..

ولهذا لما ذكر الله سبحانه قربه من داعيه وعابده قال {فَإِنِّي قَرِيبٌ} [البقرة: 186] فهنا هو نفسه سبحانه وتعالى القريب الذي يجيب دعوة الداعي لا الملائكة، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق علي صحته {إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً... الحديث} وذلك لأن الله سبحانه قريب من قلب الداعي، فهو أقرب إليه من عنق راحلته. [507 – 509 / 5: مجموع الفتاوى]..

** سؤال:1: هل في الآيتين مستند لأهل الضلال القائلين بأن ذات الله في كل مكان؟! أو في قلب كل أحد؟..

الجواب:

1- تقدم من كلام ابن تيمية: هذا باطل لم يقل به أحد من سلف الأمة00 بل الكتاب والسنة وإجماع السلف مع العقل يناقض ذلك.

2- وقيد القرب بقوله تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} [ق: 17]، فقيد القرب بهذا الزمان وهو زمان تلقي المتلقين قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال، وهما الملكان الحافظان اللذان يكتبان كما قال: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: 18]، ومعلوم أنه لو كان المراد قرب ذات الرب لم يختص ذلك بهذه الحال ولم يكن لذكر القعيدين والرقيب والعتيد معنى مناسب، وكذلك قوله في الآية الأخرى: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُون} فلو أراد قرب ذاته لم

يختص ذلك بهذه الحال، ولا قال: {وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُون} فإن هذا إنما يقال إذا كان هناك من يجوز أن يُبصر في بعض الأحوال ولكن نحن لا نبصره، والرب تعالى لا يراه في هذه الحال لا الملائكة ولا البشر...

وأيضاً فإنه قال: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ} فأخبر عمن هو أقرب إلى المحتضر من الناس الذين عنده في هذه الحال، وذات الرب سبحانه وتعالى إذا قيل: هي في كل مكان أو قيل قريبة من كل موجود لا يختص بهذا الزمان والمكان والأحوال، ولا يكون أقرب إلى شيء من شيء.. أهـ [505 - 506 / 5: مجموع الفتاوى]..

وأما من ظن أن المراد بذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد، أو أن ذاته أقرب إلى الميت من أهله فهذا في غاية الضعف؛ وذلك أن الذين يقولون إنه في كل مكان أو أنه قريب من كل شيء لا يخصون بذلك شيئاً دون شيء، ولا يمكن لمسلم أن يقول إن الله قريب من الميت دون أهله، ولا أنه قريب من حبل الوريد دون سائر الأعضاء، وكيف يصح هذا الكلام على أصلهم وهو عندهم في جميع بدن الإنسان أو قريب من جميع بدن الإنسان، أو هو في أهل الميت كما هو في الميت، فكيف نقول {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ} إذا كان معه ومعهم على وجه واحد..

أما من تأول القرب بمعنى العلم فقد تقدم كلام ابن تيمية في بيان خطئه، وقال أيضاً: ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم أنه تعالى قال: {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ...} فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه ثم قال: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ ..} فأثبت العلم وأثبت القرب وجعلهما شيئين، فلا يجعل أحدهما هو

الاخر وقد فرَّق القرآن بينهما. [504 / 5: مجموع الفتاوى]..

** سؤال:

2- هل يجوز أن يراد به قرب الرب الخاص كما في قوله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي ...}؟

وجواب ابن تيمية: لا يجوز فإن ذاك إنما هو قربه إلى من دعاه أو عبده، وهذا المحتضر قد يكون كافراً أو فاجراً أو مؤمناً أو مقرباً، ولهذا قال تعالى: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ.... جَحِيمٍ } [الواقعة: 88 - 94]، ومعلوم أن مثل هذا المكذب لا يخصه الرب بقربه منه دون من حوله، وقد يكون حوله قوم مؤمنون، وإنما هم الملائكة الذين يحضرون عند المؤمن

والكافر كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} [النساء: 97]، وقال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ...} [الأنفال: 50]، {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِم} [الأنعام: 93]، {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ...} [الأنعام: 61]، {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُم ...} [السجدة: 11]. [٥٠٦ - ٥٠٧ / 5: مجموع الفتاوى]..

❋دعاء الله باسمه القريب:

قال تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } [الأعراف: 55، 56].

نتناول معاني مفردات الآيات واحدة واحدة (تضرعاً - خفية - خوفاً - طمعاً - قريب - المحسنين).

1 - ضَرَع: يقول ابن فارس في مقاييسه: أصل صحيح يدل على لين في الشيء.

ضَرَعَ يعني: ذَلّ.

ضرْع الشاه: لما فيه من ليونة في الحلب فيستجيب للحالب فيدرّ اللبن الخالص السائغ للشارب غذاءً (شاملاً كافياً للبدن) ولذة، وبدونه يموت الرضيع، وكذلك الضّرَاعة غذاء أساسياً للروح لتلتذ بالحياة الطيبة وبدونها يموت القلب..

التضرع: التذلل والتمسكن والانكسار [تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية في الآية..].

* التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه وذلت جوارحه، وخشع صوته حتى إنه تكاد تبلغ ذلته ومسكنته وضراعته إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق، وقلبه يسأل طالباً مبتهلاً، ولسانه لشدة ذلته ساكناً.

* والتضرع روح العبادة والدين، ومن رحمة الله بالعباد أن يأخذهم بالبأساء في الأموال والضراء في الأبدان؛ لعل القلوب تلين وتنكسر لله فتدخل بذلك في التضرع الذي هو غذاؤها الكامل .. قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ

بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ...} [الأنعام: 42_ 45].

فلم تستجب قلوبهم للتنزيل بل قست فلم تتضرع، فكان من رحمة الله أن نوع عليهم الأسباب المثيرة للضراء فأخذهم بما يوجع نفوسهم وأبدانهم (البأساء والضراء) لعلهم يتضرعون لكن هيهات ... ثم بدل مكان المصيبة النعمة حتى عفوا ونسبوا ذلك إلى العادة الجارية في آبائهم..

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [الأعراف: 94، 95]..

ولقد وعظ الله عباده المؤمنين أن يدعوه تضرعاً (دعاء المسألة المتضمن دعاء العبادة) ثم وعظهم بما يعين على التضرع ويقوّيه وهو الخفية والخوف والطمع كما سيأتي..

2 – الخفية: ذكر فيها ابن تيمية عشرة فوائد في إخفاء الدعاء، اختصر فيها خشية الإطالة:

1- أعظم إيماناً بأن الله سميع عليم قريب.

2- أعظم في الأدب والتعظيم لأن الملوك لا ترفع الأصوات عندهم.

3- أبلغ في التضرع والخشوع والذي هو روح الدعاء ولبّه ومقصوده.

4- أبلغ في الإخلاص .

5- أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء.

6- دال على قرب صاحبه للقريب.. قال تعالى: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} [مريم: 3]، وفي الحديث الصحيح {اربعوا على أنفسكم..}.

7- أدعى إلى دوام الطلب والسؤال فلا تعب ولا ملالة.

8- أبعد له من القواطع والمشوشات.

9- أعظم النعمة: الإقبال والتعبد، ولكل نعمة حاسد على قدرها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء النعمة، وحفظ السر مع الله تعالى، وكتمان الحال معه سبحانه.

3 – الخوف: يقول ابن القيم:[طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: 282)]..

إن الخوف أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين جميعها وهي: الخوف والرجاء والمحبة، وقد أمر سبحانه بالخوف منه في قوله: {فَلَا تَخَافُوهُمْ

وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 175]... والمقصود أن الخوف من لوازم الإيمان وموجباته فلا يتخلف عنه قال تعالى: {فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} [المائدة: 44]، وقد أثنى سبحانه على أقرب عباده إليه بالخوف منه فقال عن أنبيائه بعد أن أثنى عليهم ومدحهم {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} [الأنبياء: 90]..

* ويقول ابن تيمية: والمحبة ما لم تقترن بالخوف فإنها لا تنفع صاحبها بل تضره، لأنها توجب التواني والانبساط، وربما آلت بكثير من الجهال المغرورين إلى أن استغنوا بها عن الواجبات وقالوا: المقصود من العبادات إنما هو عبادة القلب وإقباله على الله ومحبته له فإذا حصل المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل ... وسبب هذا عدم اقتران الخوف من الله بحبه وإرادته ... إلى أن قال: فما حفظت حدود الله ومحارمه ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فساداً لا يرجى صلاحه أبداً، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه .. [تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية: 168 / 3].

* قلت: الخوف من الله إنعام من الله على العبد قال تعالى: {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ...} [المائدة: 23]، والتخويف أيضاً من إنعام الله على العبد {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ} [الزمر: 16]، فإن لم يتذكر جاءه الوعيد والتهديد، وقال تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه: 44]، وقال تعالى: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى } [الأعلى: 10]..وقال: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: 30]، وقال: {وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} [طه: 113]، وقال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ} [هود: 103]، وقال: {وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الإسراء: 60]، وقال: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ} [الأنعام: 51]، وقال: {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: 59]. والقرآن أكثر من تخويف العباد بمصارع الغابرين وبأيام الله، ومشاهد القيامة، وجهنم .. رحمة من الله لعلهم يتقون.. وتكرر مدح المؤمنين بالخوف .. قال تعالى: {يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} [النور: 37]، {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا } [الإنسان: 10]، {وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان: 7]، {وَالَّذِينَ ... وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} [الرعد: 21].

* الخوف بداية كل خير وشرط في كل صلاح، انتفاؤه سبب في قسوة القلب
فلا يتأثر بالموعظة ولا يستجيب للحق ولا يستفيد بالآيات والبراهين...
* قال تعالى: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...} [الزمر: 22، 23].
*في هذه الآيات نجد فريقين:
الفريق الأول: شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، يحبه ويخشاه ويرجوه، فإذا سمع أحسن الحديث يقشعر جلده (ينقبض إنقباضاً شديداً من الروعة والرهبة والرغبة) والجلد تجتمع فيه مراكز الإحساس فهو سريع التأثر (بشرط الخشية) ثم يأتيهم موعود الله تعالى بلين الجلود والقلوب إلى ذكر الله00 أي تسكن وتطمئن بذكر الله، قال تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28] أي أن قلوبهم توْجل أولاً (بسبب معاصيهم) ثم لا تلبث أن تلين وتسكن، فلا تعارض بين قوله تعالى: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: 2] وبين قوله تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} لا سيما إذا عُرِفَ أن القلوب لا تتوكل إلا على من تطمئن
إلى كفايته (توجل ثم بالآيات تزداد إيماناً ثم تطمئن).
الفريق الثاني: على النقيض من الأول، لا يخشون ربهم فلا تلين قلوبهم ولا تتأثر بأقوى مؤثر وهو أحسن الحديث بل قست من ذكر الله (القرآن) الذي ينبغي بل يجب أن يكون مبدأ الاقشعرار واللين فتقبله القلوب وتستجيب له كحال الفريق الأول، لكن قست واتجهت إلى المعاندة والمكابرة والصدود والصد مع أن قلوبهم فطرت على محبته وخشيته وتوحيده فلهم الويل وهو أشد ما يكون من الوعيد والعقوبة وسوء الحال، وما أوقعهم في ذلك إلا انتفاء الخشية، قال تعالى: {كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ } [المدثر: 53]، وقال: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [الأنعام: 92]..
* {أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ}:
فهو أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله وغير المنزلة،وأحسن القصص، وهو الكتاب المهيمن على ما بين يديه من الكتب المنزلة ..كتاباً

متشابهاً: يشبه بعضه بعضاً فلا يختلف ولا يتناقض بل يصدق بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً، قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82]..

فالتشابه يراد به التناسب والتصادق والإتلاف والاتفاق، ثم هو مثاني، والتثنية يراد بها جنس التعديد من غير اقتصار على اثنين فقط كما في قوله تعالى: {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ} [الملك: 4] ، وكما في حديث حذيفة {جعل يقول بين السجدتين (رب اغفر لي، رب اغفر لي)}، لم يرد أنه قاله مرتين فقط، بل جعل يثني هذا القول يردده ويكرره، فعلم أنه أراد بلفظ التثنية جنس التعداد والتكرار، وما من تكرار إلا لفوائد أخر، فليس في القرآن تكرار محض، بل لا بد من فوائد في كل خطاب...

وأحسن الحديث: نوّع أساليب الترغيب والترهيب والقوارع والبراهين ووجوه الاعجاز، لكن المراد هنا ذكر الروع والدهشة التي تنتاب السامع له ولو كان أعجمياً..

قال الطاهر بن عاشور: وقد عد عياض في الشفا من وجوه إعجاز القرآن الروعة التي تلحق قلوب سامعيه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لعلو مرتبته على كل كلام من شأنه أن يهابه سامعه .. قال تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...} [الحشر: 21] [التحرير والتنوير :(23/ 388)].

وقال: لقد عد عياض في الشفا من وجوه إعجاز القرآن أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، لا يزال غضاً طرياً، وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغاً عظيماً يُملّ مع الترديد، ويعادى إذا أعيد، ولذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن أنه {لا يخلق على كثرة الرد}..[رواه الترمذي عن على بن أبي طالب مرفوعاً] [387 / 22].

* قال ابن القيم: وقوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ} [الرعد: 27] يعني أن الآية التي يقترحونها لا توجب هداية بل الله هو الذي يهدي ويضل، ثم نبههم على أعظم آية وأجلها وهي طمأنينة المؤمنين بذكره الذي أنزله فقال: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28]، فطمأنينة القلوب الصحيحة والفطر السليمة وسكونها إليه من أعظم الآيات، إذ

يستحيل في العادة أن تطمئن القلوب وتسكن إلى الكذب والافتراء والباطل. [مدارج السالكين: (3/ 438)].

* قلت: قال تعالى: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات: 50].

4 – الطمع:

* قال ابن تيمية: وذكر الطمع الذي هو الرجاء في آية الدعاء {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا} [الأعراف: 56] ؛ لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه، إذ طلب ما لا طمع فيه ممتنع..

* قال ابن القيم: قال تعالى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ...} [العنكبوت: 5]، وقال: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ...} [الكهف: 110]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: 218].

وفي صحيح النسائي عن جابر رضي الله عنه وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث {لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه}، وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل {أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء}.

* الرجاء: حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير...

* والفرق بينه وبين التمني: أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل، فالأول كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها، والثاني كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع، ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل.. [مدارج السالكين:(2/ 37)] أ0هـ

ومدح الله تعالى أهله وأثنى عليهم فقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21]، وفي الحديث الصحيح الإلهي عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: {يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي}، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: {يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إليّ شبراً أقتربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إليّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة} [النسائي]..

* قلت: فمن أتى بهذه الأربعة وهى الإحسان المطلوب (تضرعاً – خفية – خوفاً – طمعاً) فقد دخل في المحسنين وهم أهل القرب من رحمة الله بل من الله القريب نفسه، فيكون قد دعا الله باسمه القريب...

* المقربون (من أهل الإحسان) يتنافسون في القرب:

قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } [الإسراء: 56، 57]..

* الوسيلة: أصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي "فعيلة" من وسل إليه إذا تقرب إليه... قال الحسن: وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل...

فابتغاء الوسيلة: طلب القربة من الله بمحبته وعبادته وبالأعمال الصالحات، والاجتهاد في ذلك والتنافس فيه {أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}، فقوله أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون في

القرب منه، وهم في ذلك لا يزالون يرجون رحمته ويخافون عذابه، وتلك هي

أركان الإيمان والإحسان كما تبين..

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه، وأعلمهم به، وأشدهم له خشية، وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله وهي أعلى درجة في الجنة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن تسألها له..

ويقول: وقد أخبر تعالى عن خواص عباده الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقربون بهم إلى الله تعالى، أنهم كانوا راجين له خائفين منه فقال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ ... مَحْذُورًا }، يقول تعالى: هؤلاء الذين تدعونهم من دوني هم عبادي يتقربون إليّ بطاعتي، ويرجون

رحمتي ويخافون عذابي فلماذا تدعونهم من دوني؟! فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء. [مدارج السالكين: (2/ 42)].

{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } أي ينبغي أن يحذره كل عاقل..

*{إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } [الأعراف: 56]

س: لماذا حذف التاء من قريبة مع أنها صفة للرحمة المؤنثة؟

ج: يجيب ابن القيم على هذا السؤال باثنى عشر مسلكاً ثم رجح حاصل المسلكين السادس والسابع في بدائع الفوائد:

فالرب تبارك وتعالى قريب من المحسنين، وذلك يستلزم القُرْبَتين قربه وقرب رحمته، وقربه يستلزم قرب رحمته، ففي حذف التاء ها هنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة، وأن الله تعالى قريب من المحسنين، ولو قال: إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعالى منهم؛ لأن قربه تعالى أخص من قرب رحمته، والأعم لا يستلزم الأخص، بخلاف قربه لأنه لما كان أخص استلزم الأعم، وهو قرب رحمته فلا تستهن بهذا المسلك.

ثم قال: فكان في بيان قربه سبحانه من المحسنين من التحريض على الإحسان واستدعائه من النفوس وترغيبها فيه غاية خط لها وأشرفه وأجله على الإطلاق، وهو أفضل إعطاء أعطيه العبد وهو قربه تبارك وتعالى من عبده الذي هو غاية الأماني ونهاية الآمال، وقرة العيون، وحياة القلوب، وسعادة العبد كلها، فكان في العدول عن قريبة إلى قريب من استدعاء الإحسان وترغيب النفوس فيه ما لا يتخلف بعده إلا من غلبت عليه شقاوته – ولا حول ولا قوة إلا بالله -..[بدائع الفوائد (3/ 542)]..

* قلت: فدعاء الله تعالى باسمه القريب يكون بالإحسان أي بدعائه (مسألة وعبادة) تضرعاً وخفية وخوفاً وطمعاً، وذلك يبعث الإنسان على أن يعبد الله كأنه يراه، فيفوز المحسن بنهاية الآمال بقربه تعالى قرباً يقوم بفعله القائم بنفسه سبحانه.

* ويحسن هنا أن نذكر شيئاً من الأسباب الجالبة والمقوية للمحبة والخوف والرجاء...فنقول:

1- مطالعة نعم الله في الآفاق وفي الأنفس (وهي لا تحصى) وذلك يزيد المحبة في القلب.

2- مطالعة صفات الكمال والجمال كما يتجلى بها الرحمن في كتابه العزيز.

* قال ابن القيم: القرآن كلام الله وقد يتجلى الله فيه لعباده بصفاته، فتارة

يتجلى في صفات الهيبة والعظمة والجلال فتخضع الأعناق وتنكسر النفوس وتخشع الأصوات ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء، وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال وهو كمال الأسماء وجمال الأفعال الدال على كمال الذات، فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها بحسب ما عرفه من صفة جماله ونعوت كماله فيصبح فؤاد عبده فارغاً إلا من محبته، فإذا أراد منه الغير أن يعلق تلك المحبة به أبى قلبه وأحشاؤه ذلك كل الإباء .. فتبقى المحبة طبعاً لا تكلفاً.

وإذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد، وانبسط أمله وقوي طمعه، وسار إلى ربه وحادي الرجاء يحدو ركاب سيره، وكلما قوي الرجاء جد في العمل، كما أن الباذر كلما قوي طمعه في الغل علف أرضه بالبذر، وإذا ضعف رجاؤه قصر في البذر.

وإذا تجلي بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة انقمعت النفس الأمارة، وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص على المحرمات، وانقبضت أعنة رعونتها، فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر..

وإذا تجلى بصفات الأمر والنهي والعهد والوصية، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع الشرائع انبعثت منا قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره والتبليغ لها والتواصي بها، وذكرها وتذكرها، والتصديق بالخبر والامتثال للطلب والاجتناب للنهي.

وإذا تجلى بصفات السمع والبصر والعلم: انبعث من العبد قوة الحياء فيستحي من ربه أن يراه على ما يكره أو يسمع منه ما يكره أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى.

وإذا تجلى بصفات الكفاية والحسب والقيام بمصالح العباد وسوق أرزاقهم إليهم، ودفع المصائب عنهم، ونصرته لأوليائه وحمايته لهم، انبعثت من العبد قوة التوكل عليه والتفويض إليه والرغبة إليه في كل ما يجريه على عبده ويقيمه فيه مما يرضى به سبحانه، والتوكل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده، وثقته به ورضاه بما يفعله به ويختاره له.

وإذا تجلى بصفات العز والكبرياء أعطت نفسه المطمئنة ما وصل إليه من الذل لعظمته والانكسار لعزته، والخضوع لكبريائه، وخشوع القلب والجوارح له فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته، ويذهب طيشه وقوته وحدته.

* وجماع ذلك أنه سبحانه يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارة، وبصفات ربوبيته تارة، فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبة الخالصة والشوق إلى لقائه والأنس والفرح به، والسرور بخدمته والمنافسة في قربه، والتودد إليه بطاعته، واللهج بذكره، والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده همَّه دون سواه.

ويوجب له شهود صفات الربوبية: التوكل عليه، والافتقار إليه، والاستعانة به، والذل والخضوع والانكسار له.

* وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته، وحمده في ملكه، وعزه في عفوه، وحكمته في قضائه وقدره، ونعمته في بلائه، وعطاءه في منعه، وبره ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميته، وعدله في انتقامه، وجوده وكرمه في مغفرته وستره وتجاوزه، ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه، وعزه في رضاه وغضبه، وحلمه في إمهاله، وكرمه في إقباله، وغناه في إعراضه.

وأنت إذا تدبرت القرآن وأجرته من التحريف وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين وأفكار المتكلفين أشهدك ملكاً قيوماً فوق سماواته على عرشه يدبر أمر عباده، يأمر وينهى، ويرسل الرسل، وينزل الكتب، ويرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، يَرى من فوق سبع، ويسمع ويعلم السر والعلانية، فعال لما يريد، موصوف بكل كمال، منزه من كل عيب، لا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ليس لعباده من دونه ولـيٍّ ولا شفيع..[الفوائد:(ص: 69 - 71)]

* قلت: طالب رتبة الإحسان لا يفوته شيء من هذه الكنوز علاوة على ما سبق:

1 – الاستعانة بالله: إذ لن يعبد الله إلا بمعونته، فما لا يكون به لا يكون، وما لا يكون له لا يصلح ولا ينفع ولا يدوم {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: 5]، {استعن بالله ولا تعجز}، {أعنِّي

ولا تعن علـيّ}، {إذا استعنت فاستعن بـالله}، {اللَّهُ خَـالِقُ كُـلِّ شَـيْءٍ} [الزمـر: 62]، {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96] فكيف يكون منا إحسان بغير خلقه وعونه؟!

2- التوكل: وهو إظهار العجز في الأمر واعتماد الغير فيه في جلب منفعته ورزقه ودفع مضرته، فيكون ذلك وأكثر في فعل الطاعة وترك المعصية {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: 123]، وهذا أول العابدين صلى الله عليه وسلم وعظه ربه أن يتخذه وكيلاً {...وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلً} [المزمل: 8، 9]، وسماه ربه المتوكل كما سبق بيانه..

فعلى طالب رتبة الإحسان أن يلزم الضراعة (التذلل والتمسكن والانكسار)

والاستعانة والتوكل عند كل فعل وترك..

3 - وأن يلزم الاستعاذة من عدو الله وعدوه كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل، ومن ذلك قراءة المعوذات عقب المكتوبة، وثلاثاً في أذكار الصباح، وثلاثاً في أذكار المساء، وثلاثاً في الرقية قبل النوم، ومن ذلك أيضاً التعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ - من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، ومن همزات الشياطين أن يحضرون – ومن العجز والكسل، ومن الجبن والبخل، وضلع الدَّين وقهر الرجال وغير ذلك كما هو مبسوط في الكتاب والسنة، ولتكن استعاذة كاستعاذة الطفل بأبيه إذا داهمه وحش مفترس..

4 - الاستغفار: حتى لا يعاقب بسيئاته {...إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا } [آل عمران: 155]، وأهل الإحسان يستغفرون عقيب الطاعة لجبرها وصيانتها، وسورة المزمل (قيام الليل) في آخرها {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المزمل: 20]، وكذلك في الحج قال عقيبه {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم} [البقرة: 199]، وكذلك في الصوم..

5 – الاكثار من النوافل: قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الإلهي {ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها...} وهذا هو كمال التسديد والتوفيق وتحصيل

الحسنات، وقال صلى الله عليه وسلم للذي سأله مرافقته في الجنة: {أعني على نفسك بكثرة السجود}.

✵ ✵ ✵

✵ نزول الرب عز وجل وقربه لتكليم موسى عليه السلام وهو لا يزال على عرشه:

* قال شيخ الإسلام: وأصل هذا أن قربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش، بل هو فوق العرش، ويقرب من خلقه كيف شاء كما قال ذلك من قاله من السلف، وهذا كقربه إلى موسى لما كلمه من الشجرة قال تعالى: {إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ.... إِلَّا مَنْ ظَلَمَ} [النمل: 7 - 11]، وقال في السورة الأخرى: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ.... رَبُّ الْعَالَمِينَ} [القصص: 29، 30]، وقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا.... نَجِيًّا} [مريم: 15_ 52]، فأخبر أنه ناداه من جانب الطور، وأنه قربه نجياً، وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون} [القصص: 43]، وقال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ .... الْكُبْرَى}..الآية [النازعات: 15 - 20]، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا على بن الحسين حدثنا عثمان بن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا} [النمل: 8] قال: كان ذلك النار، قال الله من في النور، ونودي أن بورك من في النور .. حدثنا على بن الحسين...عن ابن عباس {نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ} قال: كان ذلك النار نوره {وَمَنْ حَوْلَهَا} أي بورك من في النور ومن حول النور، وكذلك روي بإسناده من تفسير عطية عن ابن عباس {فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ} يعني نفسه قال: كان نور رب العالمين في الشجرة ومن حولها ... وعن عكرمة {أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ} قال: كان الله في نوره .. عن سعيد بن جبير {أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ} قال: ناداه وهو في النور ... حدثني ابن ضمرة {فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِك⌂...} قال: إنها لم تكن ناراً ولكن كان نور الله وهو الذي كان في ذلك النور، وإنما كان ذلك النور منه وموسى حوله... عن محمد بن كعب قال: النار: نور الرحمة، قال: ضوء من الله تعالى، {وَمَنْ حَوْلَهَا} قال: موسى والملائكة، وروي بإسناده عن ابن عباس {وَمَنْ حَوْلَهَا} قال: الملائكة... وروي عن السدي وحده {أَنْ بُورِكَ

مَنْ فِي النَّارِ} قال: كان في النار ملائكة، وفي صحيح مسلم عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال: {إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور – أو النار – لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ثم قرأ أبو عبيدة: {أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا}، وذكر من تفسير الوالي عن ابن عباس {أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ} يقول: قُدِّسَ، وعن مجاهد {أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ} بوركت النار كذلك كان يقول ابن عباس..

وفي السورة الأخرى ذكر أنه ناداه من شاطئ الوادِ الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وقوله: {مِنَ الشَّجَرَةِ} [القصص: 30] هو بدل من قوله: {مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ} [القصص: 30] فالشجرة كانت فيه، وقال أيضاً {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ} [مريم: 52] والطور هو الجبل. فالثناء كان من الجانب الأيمن من الطور ومن الوادي فإن شاطيء الوادي جانبه. وقال: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ} [القصص: 44] أي بالجانب الغربي، وجانب المكان الغربي، فدل على أن هذا الجانب الأيمن هو الغربي لا الشرقي، فذكر أن النداء كان من موضع معين وهو الوادي المقدس طوى من شاطيء الواد الأيمن من جانب الطور الأيمن من الشجرة، وذكر أنه قرّبه نجياً فناداه وناجاه، وذلك المنادي له والمناجي له هو الله رب العالمين لا غيره، ونداؤه ومناجاته قائمة به ليس ذلك مخلوقاً منفصلاً عنه، كما يقوله من يقول إن الله لا يقوم به كلام، بل كلامه منفصل عنه مخلوق، وهو سبحانه وتعالى ناداه وناجاه ذلك الوقت كما دل عليه القرآن لا كما يقوله من يقول: لم يزل منادياً مناجياً له، ولكن ذلك الوقت خلق فيه إدراك النداء القديم الذي لم يزل ولا يزال، فهذان قولان مبتدعان لم يقل واحداً منهما أحد من السلف، وإذا كان المنادي هو الله رب العالمين، وقد ناداه من موضع معين وقربه إليه، دل ذلك على ما قاله السلف من قربه ودنوه من موسى عليه السلام مع أن هذا قرب مما دون السماء... وهو سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بقربه من الداعي وقربه من المتقرب إليه فقال تعالى: {... وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي} [البقرة: 186]، وثبت في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال: {أيها الناس

اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً... راحلته}، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: {من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة}..أ.هـ[مجموع الفتاوى:5/ 460]

فالذين يثبتون أنه كلم موسى بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً به هم الذين يقولون إنه يدنو ويقرب من عباده بنفسه، وأما من قال القرآن مخلوق أو قديم فأصل هؤلاء أنه لا يمكن أن يقرب من شيء ولا يدنو إليه، فمن قال منهم بهذا مع هذا كان من تناقضه، فإنه لم يفهم أصل القائلين بأنه قديم.

❋ ❋ ❋

❋ نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة وهو لا يخلو من فوق العرش:

* قال شيخ الإسلام: وقد ثبت في الصحيحين أنه ينزل، وفي لفظ: {ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر}، وفي حديث آخر {أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الآخر}، وفي صحيح مسلم: {إن الله ينزل إلى سماء الدنيا حين يمضى ثلث الليل}، وفي صحيح مسلم أيضاً {إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى سماء الدنيا}..أ.هـ[مجموع الفتاوى:5/ 478]

وقال: والنزول المذكور في الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام الذي اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، واتفق علماء الحديث على صحته هو {إذا بقي ثلث الليل الآخر} وأما رواية النصف والثلثين فانفرد بها مسلم في بعض طرقه، وقد قال الترمذي: إن أصح الروايات عن أبي هريرة {إذا بقي ثلث الليل الآخر}، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة كثيرة من الصحابة كما ذكرنا مثل هذا، فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث، والذي لا شك فيه {إذا بقي ثلث الليل الآخر} فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر النزول أيضاً إذا مضى ثلث الليل الأول وإذا انتصف الليل، فقوله حق وهو الصادق المصدوق، ويكون النزول أنواعاً ثلاثة: الأول إذا مضى ثلث الليل الأول ثم إذا انتصف وهو أبلغ، ثم إذا بقي

ثلث الليل وهو أبلغ الأنواع الثلاثة..أ.هـ[مجموع الفتاوى:5/ 470].

* قلت: الله تعالى ليس كمثله شيء، ونزوله ليس كمثله نزول، فلا يكون نزوله من جنس نزول أجسام العباد، ولو كان كنزول الأجسام - حاشا لله - للزم على ذلك من البطلان ما يلي:

١ - أن يصير تحت العرش بل تحت السماوات، وهذا يناقض صفاته الذاتية..

هو الأعلى فلا يعلوه شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء.

٢ - أن تصير المخلوقات (العرش والسماوات) حاوية له فتكون أكبر منه، إذ الحاوي أكبر من المحوي، وهذا يناقض صفته الذاتية أنه أكبر من كل شيء.

٣ - الليل يختلف باختلاف البلاد، فعلى طول الوقت يوجد ليل في الأرض فيصير دائماً تحت العرش والسماء، وهذا يتنافى مع الاستواء على العرش.

ومن ثم لا يصح إلا طريقة السلف ومن اتبعها فلا يضل ولا يشقى، وهي أن ذاته سبحانه لا تخلو من فوق العرش، فهو على عرشه يتنزل حيث شاء، ويقرب حيث شاء قرباً يقوم بفعله القائم بنفسه (ليس بذاته) كما نزل لتكليم موسى عليه السلام وهو على عرشه، فهو يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير، وقد عَلِمنا أن الروح تكون في البدن النائم لا تخرج إلا بالموت، ومع ذلك تعرج إلى السماوات في حال النوم، وهي مخلوقة فكيف بقدرة الخالق عز وجل!! قال حمَّاد بن زيد: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء، وأيضاً الله قريب من كل داع وعابد، وهم كثير في كل بقاع الأرض، فلا يشغله ولا يعجزه قربه إلى داع في الشمال عن قربه إلى داع آخر في الجنوب...

* قال شيخ الإسلام: وأما النزول الذي لا يكون من جنس نزول أجساد العباد، فهذا لا يمتنع أن يكون في وقت واحد لخلق كثير، ويكون قربه لبعض الناس أكثر بل لا يمتنع أن يقرب إلى خلق من عباده دون بعض، فيقرب إلى هذا الذي دعاه دون هذا الذي لم يدعه، وجميع ما وصف به الرب عز وجل نفسه من القرب فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما في المعية، فإن المعية وصف نفسه فيها بعموم وخصوص، وأما قربه مما يقرب منه فهو خاص لمن يقرب منه كالداعي والعابد، وكقربه عشية عرفة، ودنوه إلى السماء الدنيا لأجل الحجاج، وإن كانت تلك العشية بعرفة قد تكون وسط النهار في بعض البلاد، وتكون ليلًا في بعض

البلاد، فإن تلك البلاد لم يدن إليها ولا إلى سمائها الدنيا، وإنما دنا إلى السماء الدنيا على الحجاج، وكذلك نزوله بالليل.

وهذا كما أن حسابه لعباده يوم القيامة يحاسبهم كلهم في ساعة واحدة، وكل منهم يخلو به كما يخلو الرجل بالقمر ليلة البدر يذكره بذنوبه، وذلك المحاسَب لا يرى أنه يحاسب غيره، كذلك قال أبو رزين العقيلي للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال صلى الله عليه وسلم {ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر. قال: يارسول الله كيف ونحن جميع وهو واحد؟ فقال: سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر كلكم يراه مخلياً به فالله أكبر}، وقال رجل لابن عباس رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العباد في ساعة واحدة؟ قال: كما يرزقهم في ساعة واحدة.

وكذلك ما ثبت في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: {يقول الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال العبد: الرحمن الرحيم قال الله: أثنى على عليّ عبدي، فإذا قال العبد: مالك يوم الدين قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال العبد: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذه بيني وبين عبدي نصفين لعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم والضالين قال: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل}.

فهذا يقوله سبحانه وتعالى: لكل مصلٍ قرأ الفاتحة، فلو صلى الرجل ما صلى

من الركعات قيل له ذلك، وفي تلك الساعة يصلي من يقرأ الفاتحة من لا يحصر عدده إلا الله، وكل واحد منهم يقول الله له كما يقول لهذا، كما يحاسبهم كذلك فيقول لكل واحد ما يقول له من القول في ساعة واحدة، وكذلك سمعه لكلامهم يسمع كلامهم كله مع اختلاف لغاتهم، وتفنن حاجاتهم، يسمع دعاءهم سمع إجابة، ويسمع ما يقولونه سمع علم وإحاطة لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، فإنه سبحانه هو الذي خلق ذلك كله، وهو الذي يرزق هذا كله، وهو الذي يوصل الغذاء إلى كل جزء جزء من البدن على مقداره وصفته المناسبة له، وكذلك من الزرع..أ.هـ[مجموع الفتاوى:5/ 478]

❋ ❋ ❋

الروح

س: هل يمكن الجمع بين علو الله تعالى ودنوه ونزوله وقربه؟

ج: نعم وذلك على الله يسير، بل الروح تكون في النائم لا تخرج منه إلا بالموت ومع ذلك تصعد إلى السماوات، وقد تبلغ تحت العرش، وقد يؤذن لها في السجود إن لم يكن صاحبها جنباً، ثم ترسل إلى البدن، وهي مخلوقة فكيف بالخالق جل وعلا!!

قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر: 42].

* قال ابن تيمية: ورُوِّينا عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن منده في كتاب "الروح والنفس" حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن الحسن الجراني حدثنا أحمد بن شعيب حدثنا موسى بن أيمن عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ... } قال: تلتقي أرواح الأحياء في المنام بأرواح الموتى ويتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

وروى الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره...عن السُّدِّي {وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} قال: يتوفاها في منامها، قال فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان، قال: فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجله في الدنيا، قال: وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس، وهذا أحد القولين وهو أن قوله تعالى: { فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ} أريد بها أن من مات قبل ذلك لقي روح الحي.

والقول الثاني – وعليه الأكثرون -: أن كلاً من النفسين الممسكة والمرسلة توفيتا وفاة النوم، وأما التي تُوفيت وفاة الموت فتلك قسم ثالث وهي التي تتعلق بقوله {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} وعلى هذا يدل الكتاب والسنة، فإن الله تعالى قال: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ... مُسَمًّى} فذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاها بالنوم، وأما التي توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا إرسال، ولا ذكر في الآية إلتقاء الموتى بالنيام.

والتحقيق أن الآية تتناول النوعين: توفي الموت وتوفي النوم، وذكر إمساك المتوفَّاة وإرسال الأخرى، ومعلوم أنه يمسك كل ميتة سواء ماتت في النوم أو قبل ذلك ويرسل من لم تمت.

وقوله: {يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} يتناول ما ماتت في اليقظة وما ماتت في النوم، فلما ذكر التوفيتين ذكر أنه يمسكها في إحدى التوفيتين ويرسلها في الأخرى، وهذا ظاهر اللفظ ومدلوله بلا تكلف، وما ذكر من التقاء أرواح النيام والموتى لا ينافي ما في الآية، وليس في لفظها دلالة عليه، لكن قوله { فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ} يقتضي أنه يمسكها لا يرسلها كما يرسل النائمة، سواء توفاها في اليقظة أو في النوم؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم {اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، فإن أمسكتها فارحمها، وإن أرسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين} فوصفها بأنها في حال توفي النوم إما ممسكة وإما مرسلة..أ.هـ [مجموع الفتاوى:5/ 451].

ثم ذكر شيخ الإسلام من الأخبار ما يبين عروج الروح وعودها للبدن أثناء النوم..

قال: وقال ابن أبي حاتم...أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أعجبُ من رؤيا المؤمن أنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال فتكون رؤياه كأخذ باليد، ويرى الرجل الشيء فلا تكون رؤياه شيئاً!! فقال على بن أبي طالب رضي الله عنه أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ .... مُسَمًّى} فالله يتوفى الأنفس كلها فما رأت وهي عنده في السماء فهو الرؤيا الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذبتها فأخبرتها بالأباطيل وكذبت فيها، فعجب عمر من قوله}.

قال الإمام أبو عبد الله بن منده: وروي عن أبي الدرداء قال: {إذا نام الإنسان عرج بروحه حتى يؤتى بها العرش، قال: فإن كان طاهراً أذن لها بالسجود، وإن كان جنباً لم يؤذن لها بالسجود} [رواه زيد بن الحباب وغيره].

وروى ابن منده حديث علي وعمر رضي الله عنهما مرفوعاً... عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: لقي عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب فقال: يا أبا الحسن: ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت، ثلاثة أشياء أسألك عنهن فهل عندك منهن علم؟ فقال على بن أبي طالب:

وما هن؟ قال: الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً، فقال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إن الأرواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشام فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، قال عمر: واحدة، قال عمر: والرجل يحدث الحديث إذ نسيه، فبينما هو قد نسيه إذ ذكره؟ فقال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {ما من القلوب قلب إلا وله سحابه كسحابة القمر، فبينما القمر يضيء إذ تجللته سحابة فأظلم إذ تجلت عنه فأضاء، وبينما القلب يتحدث إذ تجللته فنسي إذ تجلت عنه فذكر}، قال عمر: اثنتان، قال: والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب؟ قال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {ما من عبد ينام فيمتلىء نوماً إلا عرج بروحه إلى العرش، فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق، والذي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب}، فقال عمر: ثلاث كنت في طلبهن، فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت.

وإذا كانت الروح تعرج إلى السماء مع أنها في البدن علم أنه ليس عروجها من جنس عروج البدن الذي يمتنع هذا فيه، وعروج الملائكة ونزولها من جنس عروج الروح ونزولها لا من جنس عروج البدن ونزوله، وصعود الرب عز وجل فوق هذا كله وأجل من هذا كله، فإنه تعالى أبعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق..أ.هـ [مجموع الفتاوى:5/ 458].

❋ ❋ ❋

❋ الاعتبار بشأن الروح في تسهيل معرفة إمكان ما جاء من وصف الله تعالى بالقرب والدنو والنزول دون أن يخلو منه العرش:

* يقول شيخ الإسلام: وهذا الباب ونحوه إنما اشتبه على كثير من الناس؛ لأنهم صاروا يظنون أن ما وصف الله عز وجل به من جنس ما توصف به أجسامهم، فيرون ذلك يستلزم الجمع بين الضدين، فإن كونه فوق العرش مع نزوله يمتنع في مثل أجسامهم، لكن مما يُسَهِّل عليهم معرفة إمكان هذا معرفة أرواحهم وصفاتها وأفعالها، وأن الروح قد تعرج من النائم إلى السماء وهي لم تفارق البدن كما قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ .... مُسَمًّى}، وكذلك الساجد قال النبي صلى الله عليه وسلم {أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد}، وكذلك

تقرب الروح إلى الله في غير حال السجود مع أنها في بدنه، ولهذا يقول بعض السلف: القلوب جوالة: قلب يجول حول العرش، وقلب يجول حول الحسن.

وإذا قبضت الروح عرج بها إلى الله في أدنى زمان، ثم تعاد إلى البدن فتسأل وهى في البدن، ولو كان الجسم هو الصاعد النازل لكان ذلك في مدة طويلة، وكذلك ما وصف النبي صلى الله عليه وسلم من حال الميت في قبره وسؤال منكر ونكير له والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {إذا أقعد الميت في قبره ثم شهد أن لا إله إلا الله فذلك قوله {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } [إبراهيم: 27]، وكذلك في صحيح البخاري وغيره عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {إن العبد إذا وضع في قبره وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعاً، وأما الكافر والمنافق فيقول: هاه هاه لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين}.

والناس في مثل هذا على ثلاثة أقوال: منهم من ينكر إقعاد الميت مطلقاً لأنه قد أحاط ببدنه من الحجارة والتراب ما لا يمكن قعوده معه، وقد يكون في صخر يطبق عليه، وقد يوضع على بدنه ما يكشف فيوجد بحاله ونحو ذلك، ولهذا صار بعض الناس إلى أن عذاب القبر إنما هو على الروح فقط كما يقوله ابن ميسرة وابن حزم، وهذا قول منكر عند عامة أهل السنة والجماعة، وصار آخرون إلى أن نفس البدن يقعد على ما فهموه من النصوص، وصار آخرون يحتجون بالقدرة وبخبر الصادق، ولا ينظرون إلى ما يعلم بالحس والمشاهدة، وقدرة الله حق، وخبر الصادق حق، لكن الشأن في فهمهم.

وإذا عرف أن النائم يكون نائماً وتقعد روحه وتقوم وتمشي وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالاً وأموراً بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب مع أن جسده مضطجع، وعينيه مغمضتين، وفمه مطبق وأعضاؤه ساكنة، وقد يتحرك بدنه لقوة الحركة

الداخلة، وقد يقوم ويمشي ويتكلم ويصيح لقوة الأمر في باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره، فإن روحه تقعد وتجلس وتنعم وتعذب وتصيح، وذلك متصل ببدنه، مع كونه مضطجعاً في قبره، ... وقد عرف أن أبداناً كثيرة لا يأكلها التراب كأبدان الأنبياء، وغير الأنبياء من الصديقين وشهداء أحد وغير شهداء أحد والأخبار بذلك متواترة .. لكن المقصود أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم من إقعاد

الميت مطلقاً هو متناول لقعودهم ببواطنهم، وإن كان ظاهر البدن مضطجعاً.

ومما يشبه هذا إخباره صلى الله عليه وسلم بما رآه ليلة المعراج من الأنبياء في السماوات، وأنه رآى آدم وعيسى ويحيى ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم، وأخبر أيضاً أنه رأى موسى قائماً يصلي في قبره، وقد رآه أيضاً في السماوات، ومعلوم أن أبدان الأنبياء في القبور إلا عيسى وإدريس .. وإذا كان موسى قائماً يصلي في قبره ثم رآه في السماء السادسة مع قرب الزمان فهذا أمر لا يحصل للجسد.

ومن هذا الباب أيضاً نزول الملائكة - صلوات الله عليهم وسلامه – جبريل وغيره.

فإذا عرف أن ما وصف به الملائكة وأواح الآدميين من جنس الحركة والصعود والنزول وغير ذلك لا يماثل حركة أجسام الآدميين وغيرها مما نشهده بالأبصار في الدنيا، وأنه يمكن فيها ما لا يمكن في أجسام الآدميين، كان ما يوصف به الرب من ذلك أولى بالإمكان، وأبعد عن مماثلة نزول الأجسام، بل نزوله لا يماثل نزول الملائكة وأرواح بني آدم، وإن كان ذلك أقرب من نزول أجسامهم..أ.هـ[مجموع الفتاوى:5/ 523]..

تم بفضل الله... والحمد لله رب العالمين...